

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(118) في ركوبه السفينة: (يَا بُنْدَىَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ) (1)، أي لا تكن معهم حتى تشاركهم في البلاء، ولو كان عارفاً بكفره لكان عليه أن يقول: "ولا تكن من الكافرين" وبما أنَّهُ كان معتقداً بإيمان ولده كان مدعناً بدخوله في قوله: (وأهلك) ولما أدركه الغرق أدركته الحيرة في أنَّهُ كيف غرق مع أنَّهُ وعده سبحانه حق لا يشوبه ريب، وعندئذ أظهر ما في قلبه وقال: (إنَّ ابني من أهلي)، وأجابه سبحانه بأنَّهُ ما أدركه الغرق إلاَّ لاجل كفره، فهو كان داخلاً في قوله: (ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنَّهُم مغرقون) (2) أوَّلاً، وثانياً في المستثنى أي قوله: (إلاَّ من سبق عليه القول) لا المستثنى منه أي (أهلك). وعندئذ يقع السؤال والجواب في موقعهما ولا يكون نوح (عليه السلام) في حكمه كاذباً، لأنَّهُ كان يتصور أنَّ ولده موَّمن فنبَّهه سبحانه على أنَّهُ كافر، فأين الكذب في هذين الحكمين؟ وفي قوله سبحانه: (إنَّهُ عمل غير صالح) إعلام بأنَّ قرابة الدين غامرة لقرابة النسب، وإنَّ نسيبك في دينك ومعتقدك من الآباء وان كان حبشياً وكنت قرشياً، لصيقك وخصيكت، ومن لم يكن على دينك وإن كان أمس أقاربك رحماً فهو بعيد عنك إيماناً وعقيدة وروحاً. ثم إنَّ الأخبار عن ابن نوح بأنَّهُ عمل غير صالح مكان كونه عاملاً غير صالح، لاجل المبالغة في ذمه مثل قوله "فإنما هي إقبال وإدبار". (3) وها هنا نكتة يجب التنبيه عليها، وهي أنَّ العنصر المقوِّم لصدق عنوان الأهل عند أصحاب اللغة والعرف هو انتساب الإنسان إلى شخص بوشيجة من _____ 1. هود: 42، 2. هود: 37، 3. الكشاف: 101|2.